

فصرح أن بيرون من أقطاب الرومانسيين، وأشار إلى اتساع خياله، وجرأته على الاستعارة، واتقاد عاطفته، ورنين لفظه، وحلاوة شعره ورقته، وصفاء نفسه الرائع في بعض الحالات. أما ثلثى فنسبه إلى قرنه التاسع عشر، وميزه بموسيقاه التي ابتكر فيها أوضاعاً جديدة، وبنزغته التجريدية، وروحه المثالية، وأعلن أن أشهر مقطوعاته: «أودنيس»، و«تورة الإسلام»، و«مأساة شنسى».

ولم يتعزز لما عندهما من نظرات نقدية أى تعرض.

ويكشف لنا هذا العرض لما قمنا به من البحث بين الكتب التي ألفت في الفترة التي تعيننا أن ذروة النشاط كانت في الثلاثينات التي أنتجت خمسة كتب. وتتساوى بقية العقود، حيث ينتج كل من الأول والثاني والثالث كتابين لا غير.

وشهد مطلع القرن العشرين نشاطاً ملموساً للعرب المهاجرين من سوريا ولبنان إلى مصر، فأصدروا كتبهم فيها. ثم انسحب النشاط إلى موطنهم، حتى رأينا ظاهرة قد نصفها بالغرابة، وهى صدور الجزأين الأول والثاني من كتاب «منهل الورد» لقسطاكي الحمصي في مصر، ثم صدور الجزء الثالث من الكتاب نفسه في الشام.

وقد نصف النشاط المصرى ببعض التأخر عن النشاط السورى اللبناى إذ يصدر أقدم كتاب مصرى عرفناه - وهو قطرة من يراع لأبى شادى - سنة ١٩٠٨. ويصدر أقدم كتاب سورى وهو تاريخ علم الأدب للخالدى وترجمة الإلياذة للبستافى كما ذكرنا سنة ١٩٠٤. ولكن سرعان ما يستعيد النشاط المصرى مكانه المعادل للنشاط السورى اللبناى ثم يحتل الصدارة والريادة.

ويستمر أبو شادى فى البروز الجلى طوال الفترة كلها. فقد مكنته مكانة أبيه من الظهور المبكر، ومكنته قدراته الأبية الطائلة من البقاء على رأس الكتاب النقاد.

ويجىء بعده فى كثرة هذا اللون من التأليف المازنى والعقاد. ولكن إذا نظرنا إلى الإنتاج الأبعد تأثيراً فى الحياة الأدبية فى مصر بل فى العالم العربى كان الإجماع على كتاب الديوان للعقاد والمازنى.

ويمكن القول بأن هذه الكتب تناولت عناصر النظرية الأدبية كلها عند الرومانسيين. فإذا كان واجباً علينا أن نخص بعض العناصر التي نالت من اهتمام المؤلفين أكثر من غيرها ذكرنا الصراع بين التقليد والتجديد، وتعريف الشعر، وصلته بالنثر والفروق بينها، وصلاته بالفنون الأخرى، والتأمل، والعاطفة والأخلاق، ووظيفة الشعر.